كلمة طلاب الفقيد

الدكتور محمد عبد الرزاق قدورة

بسم الله . والحمد لله . والصلاة على رسول الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كُتِبَ الإنسان بثلاثة آلاف ألف ألف حرف ، تملأ عشرين سِفراً ضخماً ، وتَحْكي كِيانَه ومصيرَه . فكيف يُوَفَّى حَقَّه بكلمات قلائل في دقائقَ مَعْدُودات . لا بُدَّ من الرجوع إلى أركان الإنسان : إلى اللُّبِّ والقلب والغَيْب . فهي تُحدِّثُ أخبارَه ، وتُفسِّرُ أسفارَه ، وتُبيِّن أسرارَه . وهي تُحمِل أطيب ما فيه : فاللب عنوان العقل ، والقلب محراب المروءة ، والغيب ينبوع الإيمان . والعقل والمروءة والإيمان هي السجايا الأُمَّهات التي تُحاكي خيالَك في المرآة . إن اقْتَرَبْتَ منها اقْتَرَبَتْ ، وان ابتعدتَ عنها ابْتَعَدَتْ . وهي الغايات العُلى التي سعى إليها الأستاذ السمان ، رحمه الله ، طيلة حياته ، فَسَعَتْ إليه .

العقل مفتاح الدنيا والإنسان ، ووالد العلم والاتقان ، ومَنار الإدراك ، وعماد الإثراء . وسلاح السلطان . صحبه الأستاذ رائداً ينتجع العلم من منابته ، ليرجعَ منها بالكلأ الغزير ، فينثره أمام قومه ، ليُقْبِلَ عليه من يقبل ، ويُعْرِضَ عنه من يعرض . لَمّا أهلكَت النواةُ الشرق ، وبُهِتَ الناس للمصيبة ، فَسَّرَ لهم سِرَّ الزمان ، وكَيلَ الجحيم والجنان . لما ساحَ الصاروخ في الأفلاك ، وعَجِبَ القوم لسفينة غَيرِ ذات وَقود ، بَيَّنَ لهم

مَغْزَى سياحتها ، وفَحْوى رسالتها . لما جمعت الأمم المتحدة مُؤْتَمَرَيْها لتَسْخِير الذرة للخير ، حضر هذا وذاك ، وعَلَّم ما تَعَلَّم ، وأَعْطى ما حَصَّل . ما بزغ في سماء العلم نجم جديد إلاّ رَصَدَه ، وأشار إليه . وحَثَّ عليه . لو عاش في عِزِّنا الماضي المنقول ، أو مَجْدِنا الآتي المأمول ، لكان عَلَماً في العلم يَقِلُّ له النظير .

كان العقل صاحب الأستاذ الأول ، وكانت المروءةُ صاحبتَه الأخرى . والمرُوءةُ بابُ الجمال والرُّواء ، ودار الحب والإخاء ، ومأوى الهناء والشقاء . وكلمة المروءة دُرَّةٌ من دُرَر العربية الباهرة ، يَعْجِزُ عن ترجمتها التراجم ، وتحيط بمكارم الأخلاق . « إنَّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاق » . فيها وُدُّ الرفاق ، وصدق الكلام ، وحُسْن الفِعال ، ونَصْر الضعيف ، ومَقْتُ الطغاة . أَبْهى مروءة الأستاذ كانت مع طلابه ، يحبهم في الله ويحبونه ، ويُعاهدهم على الخير ويعاهدونه . يدخل الصف ، فيدخل معه جَلال العالِم ، ووقار الوالد ، ووداد الصديق . يرسم على اللوح الأسود ، في الراحة بين الدرسين ، أشكالاً بديعة مُلَوَّنة ، فيها رُواء الرسم ، وبهاء العلم ، ودواء الفهم . يشرح الدرس سابراً سامعيه في كل لحظة ، يسير مع البطيء الهُوَيْنا ، « سيروا بِسَيْرِ أَهْوَنِكُم » ، ومع السريع الخَبَب . يُفَسِّر ما أَشْكَلَ مَرّات ، كلُّ مرة غيرَ أخواتها ، فلا يَمَلُّ النابه التكرار ، بل يرى فيه وجوها شَتَّى ، وضُروباً عِدَّة ، وأفكاراً أخرى . ولا يعدم الضعيف أَنْ يجد بين السبل التي فتحها الأستاذ سبيلاً يسلكها إلى الفهم . فَتَغْمُرُه نَشْوة الإدراك ، ويَحْفِزُه الفوز إلى الجهد الحثيث ، ليبلغ غايةَ ما يَسَّرَه الله له . كان الأستاذ في صفه كلاعب الشِّطْرَنْج البطل يلاقي أربعين لاعباً معاً ، فينال كُلٌّ ما يستحق ويظن أنه صِنْوُه وحدَه لا شريكَ له .

الإيمان نور السماء في الأرض ، يَصْرَعُ في الإنسان ما بَقِيَ فيه منْ دَرَنِ الحيوان ، مِنْ إضاعَةِ الصلاة ، واتّباعِ الشّهوات ، وزَيْغِ التُّرَّهات . الجهاد الأكبر ، الذي يَقِفُ فيه الإيمان بالمرصاد للوَسْواس الخَنّاس ، الذي يُوَسْوِسُ في صدور الناس ، هو السَّكِينَةُ العَلِيَّة التي أنعم الله بها على الذين قال فيهم : ﴿ ومن يُطعِ الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النَّبِيِّينَ والصِدِّيقينَ والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقاً ﴾ . (صدق الله العظيم) . ومن أولئك كان الأستاذ . كانت حَلاوَةُ تَقْواه حُبَّ القرآن ، يُرَتِّلُه في كل حين ، ويقرأ تفاسيرَه ، ويَنْشُد بركاته ، ويرجو حسناته . كان في إيمانه خشوعُ الأُمِّيين ، ويقينُ الراسخين . كان يعلم أن الغيبَ لله ، وأنَّ الغُرور شَرَكُ الغَرور ، ويتلو خاشعاً قوله تعالى : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب فيه آياتٌ مُحْكَمات هن أُمُّ الكتاب وَأُخَرُ متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمَنّا به كُلٌّ من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب . ربنا لا تُزِغْ قلوبنا بعد إذ هديتنا وَهَبْ لنا من لَدُنْكَ رحمة إنك أنت الوَهّاب ﴾ . (صدق الله العظيم) . كان الأستاذ يعلم أن الدين يُسْرٌ وسَماح : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ . ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ . كان إيمانُ الأستاذ إيمانَ آبائنا الأوائل الذين سادوا الدنيا لأنهم سادوا أَنْفُسَهم ، وحازوا الأرض لأنهم نَشَدُوا السماء .تَجَمَّعَتْ هِمَمُ الأستاذ الثلاث : العقل والمروءة والإيمان في بُؤْرَةٍ واحدة كما تجمعت أشعة النور السَنِيَّة ليتألَّفَ منها الخيال البديع . تجمعت في حب اللســان العربي المبين وأَلْسِنَةِ الآخرين . كانت ذاكرته تفيض بالرائع من القول مما حفظه من كتاب الله ، وخطب رسول الله ، ﷺ ، ونهج البلاغة ، ودواوين الشعر ، والبيان والتبيين ، وكتاب

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

الأغاني ، والعِقْد الفريد ، وزهر الآداب ، وما شابَهَها ، وأبياتِ لامارتين وهوغو وبودلير وأقرانهم . كان زينة المجالس ، يَقُصُّ فلا يُمَلُّ حديثه ، ويُصْغي فيُقْبِل على مُحَدِّثِه بسمعه وجوارحه . كان أنيساً بشوشاً وَدوداً ، يعلم أنَّ المؤمن هَيِّنٌ لَيِّن ، وأن النفس تطلب اللهو كما تطلب الجد ، وأن الله تعالى قال : ﴿ قل من حَرَّم زينة الله التي أَخْرَجَ لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ (صدق الله العظيم) . فلم يكن الأستاذ زاهداً إلا في اللَّغْو ، ولا راغباً إلا عن الإثم ، ولا عازفاً إلا عن البغي . كان يقرأ كل ما يستحق القراءة ، ويَقُصّ كل ما يستحق القَصص . كان يعرف من روايات الخيال العلمي ما لا يعرفه إلاّ أخوه الكريم الذي هو بيننا اليوم ، ويحفظ من نوادر « البطة الحبيس » ، التي تنقد حكام فرنسا وسواهم نقد الساخر الواعظ ، ما يملأ المجلدات . في مكتبته سلسلة المقالات التي ظهرت في تلك الصحيفة بين عامي ١٩٥٨ و١٩٦٩ ، أي أيام حكم دوغول ، يظهر فيها ذلك الرئيس في لباس لويس الرابع عشر ، وتُعْرَض فيها أخبار حكمه بأسلوب الكاتب سان سيمون الذي وصف بلاط الملك ، باني فِرْساي . بما كان فيه من مَخازٍ ومآثِر . ألقى الأستاذ عصا الترحال في المجمع . والمجمع خاتمةُ المَطاف ، وغايةُ المُراد . فيه تُكَرِّم الأمة نَفَراً من أبنائها فتكرم نفسها فيهم . تمنحهم أعظم ما يُمْنح : الذكر الحميد ، فلا يَرْجُون لَدَيْها سواه . لا يطلبون المال ولا البهجة ولا السلطان ، لانهم يعرفون أن هذه كَظِلِّكَ في الشمس ، إنْ لَحِقْتَها هَرَبَتْ ، وإنْ نَأَيْتَ عنها تَبِعَتْك .

خَلَفَ الأستاذُ في المجمع عَلَماً مِثْلَه ، كان أيضاً إماماً في العلم والحكم ، هو الأستاذ الخوري ، الذي عَلَّم القانون . وخَدَم البلاد ، ورَئِس المجالس . فما أجملَ الْتقاءَ هذين الاسْمَيْن ، اللَّذَيْن يذكرهما الوطن ذكره

الطيبين من آبنائه ، وما أَحْسَنَ صُنْعَ المجمع ، الذي يَقْرِنُ الكاتب الوجيه ، بالفارس الرئيس ، ويَضَعُ العالِم الوزير ، في مقعد العالِم الوزير ، ويَخْلِط طيب هذا وذاك ، في مسك المقعد ذي العبير .

يَغْلِبُني حزني عند ذكر أستاذي وأياديه :

له أيـــادٍ إليَّ ســـابِقـــةٌ أُعُـدُّ منهـــا ولا أُعَـدِّدُهـــا

عَلَّمني فتًى ، وآخاني شابًا ، وانتخبني في المجمع كَهْلاً ، واستقبلني فيه شيخاً ، فكيف لا أُنْشِد :

وَهَـلْ أنـا إلاّ قَطْـرَةٌ مِنْ سَحَـابِهِ وَلَوْ أَنَّني صَنَّفْتُ أَلْفَ كِتـابِ

اليـوم نؤبن الأستـاذ السمان ، صـاحب المروءة والإيمان والعقـل واللسان ، وندعو الله أن يرحمه ، ويَقْبَلَ منه الكلم الطيب والعمل الصالح : ﴿ مَنْ كان يريد العِزَّةَ فللّه العزة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور ﴾ . (صدق الله العظيم) .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة آل الفقيد

العقيد هشام السمان

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس مجلس الشعب ،

السيدة وزيرة التعليم العالي ،

سيداتي سادتي ،

في البدء ، أتقدم ، ومن كل قلبي ، بخالص الشكر والامتنان ، وكامل التقدير والاحترام ، إلى السادة أعضاء مجمع اللغة العربية ، الذين دعوا إلى هذا الحفل ، وفاء وبرهاناً على إخلاصهم لروح الزمالة التي ربطتهم بالفقيد الراحل ، أخي الأكبر ، وجيه السمان ، رحمه الله .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أفعل ذلك ، باسمي ونيابة عن عائلة الفقيد الذي اختاره الله إلى جواره ، بعد عمر قضاه في خدمة أغراض المجمع ، وفي البحث والتنقيب والترجمة والتأليف والإنتاج في مجالات منوعة واسعة من العلوم والتقنيات ، وفي خدمة أمته العربية .

كان ، رحمه الله ، منفتحاً على كل المستجدات في ميادين العلم والمعرفة ، في تلك السنوات الماضية ، التي لم يعرف تاريخ البشرية مثيلاً لها في كثافة وتسارع الاكتشافات العلمية والتقنية ، تلك السنوات التي ضمت أضعاف ما أنجزه الإنسان منذ أن تفتح عقله على الوعي في الأزمنة البعيدة وحتى بداية هذا العصر .

لذلك، فقد وجد نفسه مشدوداً إلى هذا التطورات المتلاحقة، ووجد من واجبه متابعتها ، ونقل ما استطاع منها إلى لغة قومه ، شارحاً ومبسطاً ما أمكنه أن يفعل ، ليساعد طالب العلم والمعرفة على الوصول إلى غايته .

كان هذا رائده طوال حياته . وقد وفق في سبيله توفيقاً طيباً . وكان في أيامه الأخيرة ، رحمه الله ، ينظر إلى ثمرات جهوده والأشواط التي قطعها بعين الرضا . والآن ، وبعد أن انتقل إلى جوار ربه ، أرجو أن ينام قرير العين ، فقد أدى واجبه على خير وجه .

أيها السادة

إني أتقدم بالشكر أيضاً إلى جميع أصدقاء الفقيد وزملائه ورفاقه ومعارفه وإلى جميع الذين التفوا حولنا وواسونا في مصابنا ، وأخص بالشكر السادة أسرة مشفى الرازي من أطباء وإداريين وممرضين وممرضات ، وبخاصة تلك الطبيبة الشابة التي سهرت إلى جانب فقيدنا طوال سبعة عشر يوماً ، وكانت إلى جانبه حين لفظ أنفاسه الأخيرة .

لا بد لي من التقدم بالشكر إلى المقامات الرسمية ، وعلى رأسها سيادة رئيس الجمهورية ، ورئيس مجلس الشعب ، والسيدة وزيرة التعليم العالي والسادة أصحاب المعالي الوزراء على لفتتهم الكريمة بمواساتنا في مصابنا الأليم .

وشكراً لكم .

والسلام عليكم ورحمة الله .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com